طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته الثالث طلب التبرك
بدعا الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله
اما الوجه الاول فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها
عند ذوي البصاير النافذة في عجايب صنع الله تعالى ومجاري حكمه وبيانه ان السيد
اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا
على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا
حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده
والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها
في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي
الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق
في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا
اذا لم يصرح به الخالق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا
تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة
مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة
المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم
حروف واصوات يقراه كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقايق الحكمة الازلية
ولذلك عظم الشرع الامر في القتل للاولاد وفي الوأد لانه منع لتمام الوجود واليه
اشار من قال العزل احد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تعالى تمامه
والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر
بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فان قلت قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب يوهم ان فناها مكروه
عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله ومعلوم ان الكل
بمشية الله وان الله غني عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم
عن فنايهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة
الكاينات كلها الى ارادة الله تعالى خيرها وشرها نفعها وضرها ولكن
المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه
ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات
مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه
مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وكيف الفناء
بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء وانه تعالى يقول ما ترددت

في شيء كترددي

في شيء كترددي في قبض روح عبدي المؤمن المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساءته
ولا بد له من الموت فقوله لا بد له من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى
نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله تعالى وهو الذي خلق الموت والحياة ولا مناقضة بين قوله قدرنا
بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى
الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق منها الى الافهام امور تناسب
ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد ما
بين ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب
ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه
الحقايق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه فلنقبض عن ذكره
ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما
مضيع نسلا ادام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه
فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من وجود آدم عليه الصلوة والسلم على نفسه
فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون
زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه
رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر
لا يدخل تحت الاختيار وانما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع
في كل حال فمن عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك
يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوات خفية لا يطلع عليها حتى ان
الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي
يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين
وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد
للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف
هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما
يقابله من كراهة تعطيل المراة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو
عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح
مع فتور الشهوة الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا
ويقول انا انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المراة العقيم اذ قال عليه
الصلوة والسلام الحصير في ناحية البيت خير من امراة لا تلد وقال خير نسائكم الولود